7

علم نفس الهجمات الإرهابية الانتحارية*

جيرولد م. بوست، وفرحانة علي، وشويلر جورج
هندرسون، وستيفن شانفيلد، وجيف فيكتوروف
وستيفان ويني.

أحداث 11 سبتمبر، أثارت تساؤلات مرعبة للجمهور حول طبيعة العدو حالما أعلن الرئيس بوش (الحرب على الإرهاب). أي نوع من الناس هذه الصواريخ البشرية الموجهة، وهذه البشر التي كادت أن تصنع من أجسادها قنابل ذكية؛ يضحون بحياتهم لقتل الآلاف من المدنيين؟ وأي صبي هذا الذي يرتدي حزامًا ناسفًا ويفجر نفسه في محل للبيتزا؛ ليقتل ويصيب أكثر من عشرين صبيًّا؟ وأي أم تلك التي تفجر نفسها وتقتل العشرات في مركز للتسوق؟ وما هذه التفجيرات اليومية في العراق؟ وما هذه التفجيرات التي تتزايد وتيرتها في أفغانستان؟ الافتراض السائد هو أن الخاطفين الانتحاريين، والانتحاريين يجب أن يكونوا من المتعصبين المجانين.

هذه الأسئلة لا بد أن توجَّه إلى الأطباء النفسيين. بعد كل شيء، خبرتنا في مجال علم النفس الانتحاري التي تبحث في الدوافع التي تجعل الناس يضعون حدًّا لحياتهم الخاصة، هي واحدة من السمات المميزة لمهنتنا، ويجب أن نكون قادرين على تفسير هذه الظاهرة المرعبة.

الغرض من هذه الورقة هو استعراض التفاهمات الحالية لسيكولوجية الإرهاب الانتحاري للأطباء النفسيين، وغيرهم من العاملين في مجال الصحة النفسية؛ لمساعدتهم على فهم أفضل لهذه الظاهرة المرعبة. في البداية، لا بد من رفض وصف الانتحاريين بالمجانين، ما يبدو

* نشرت لأول مرة في الأصل في عام 2009 في الطب النفسي، 72 (1)، 13 -31. © شركة جيلفورد للنشر، أعيد طبعها بإذن من شركة جيلفورد للنشر.

غير مفهوم في شخص آخر كثيرًا ما يوصف بال (جنون) أو (مجنون). وينبغي أن يكون مفهومًا أن مثل هذه الأوصاف للانتحاريين ليس لها سند طبي نفسي. في الواقع، إن الجماعات الإرهابية تحاول حجب المجند المختل عقليًّا بعد كل شيء، فهم يمثلون خطرًا أمنيًّا (هورغان، 2005؛ لاكير والكسندر، 1987؛ سيلك، 2003).

مارثا كرينشو، خبير دولي بارز في الإرهاب، لاحظ أن السمة المشتركة لدى جميع الإرهابيين هي وضعهم الطبيعي. (كرينشو، 1981). وجد ماكولي وسيغال، في استعراضهما الكبير لعلم النفس الاجتماعي للجماعات الإرهابية أن أفضل توثيق معمم هو سلبي؛ فالإرهابيون لا تظهر عليهم أي أعراض نفسية ملفتة. (ماكولي وسيغال، 1987). وليس الغرض من النظر في أدوار الفرد، والجماعة، وعلم النفس الاجتماعي هو إنكار القوة أو الشرعية أو التنصل من مجموعة واسعة من العوامل المساهمة في تطوير الانتحاريين، وإنما لنفهم على أكمل وجه ممكن السلوك الإنساني الشائع والمميت على نحو متزايد.

قد يكون من المغري أن نفترض أن كل الذين يقتلون أنفسهم يتقاسمون بعض الخصائص السيكولوجية الأساسية، كأن يتصرفوا بدافع من اليأس النفسي، إنما هناك أطر أخرى مختلفة تمامًا، فقد ميَّز دوركهايم بين الانتحار الإيثاري، الذي يهدف إلى نفع المجتمع، والانتحار الناشئ عن اليأس الشخصي. (دوركهايم، 1951). وقد أثار بيدازور وزملاؤه مسألة ما إذا كان (الإرهاب الانتحاري) أفضل في هذا الإطار السوسيولوجي، وهو مستقل عن أي صفات نفسية (بدازهور، 2005). تبحث هذه الورقة مختلف النماذج النفسية التي قد تقدم مساهمة في تفسير التفجيرات الانتحارية، ومن ثم تنظر في مختلف المجالات التي يمكن أن يكون للطب النفسي قدرة فيها على المساهمة في فهم متعدد التخصصات لهذا الفعل.

التعاريف والمفاهيم الرئيسة

(الإرهاب) و(الإرهابي) اصطلاحان مختلف عليهما (بول، 2006؛ الأمم المتحدة، 2004). كما يلاحظ بروس هوفمان، غالبًا ما تعكس التعاريف وجهات نظر الوكالة التي تقوم بالتعريف (هوفمان، 1998، ص 38). لذلك، فتعريفات وزارة الخارجية الأمريكية تعكس الطبيعة السياسية

للأفعال؛ وتعكس تلك القادمة من وزارة العدل ومكتب التحقيقات الفيدرالي الطبيعة الإجرامية غير المشروعة للفعل. (وزارة العدل الأمريكية، 2001)؛ في حين أن وزارة الدفاع تعرف الإرهاب بوصفه جزءًا من طيف صراع منخفض الكثافة؛ في حين يركز قانون باتريوت في الولايات المتحدة الأمريكية عام 2001، على طبيعة السكان المستهدفين؛ أي المدنيين مقابل أهداف عسكرية. من المهم التمييز بين الإرهاب وحرب العصابات والتمرد؛ فالفارق الأساسي لدى العديد من الخبراء هو أن الإرهاب رمزي، ويسعى لتقويض سلطة القوة المهيمنة، لكنه يفتقر إلى القوة العسكرية للإطاحة بالحكومة. هدف التمرد عادة هو الإطاحة بالنظام السياسي، والتمرد يسعى إلى احتلال أراضٍ يسعى من خلالها إلى التوسع. من الجدير بالملاحظة أن مصطلح المقاومة المسلحة هو تعريف آخر يستخدمه الإرهابيون لشرعنة أفعالهم العنيفة التي تعد غير شرعية لعدد من السكان المستهدفين، وما هو مهم هو أن نتذكر أن هذه المصطلحات تستخدم من أجل قوتها البلاغية والإعلامية من الجانبين.

أليكس شميد، في كتابه **الإرهاب السياسي الكلاسيكي** (شميد، 1983)، استعرض ما يقارب 109 تعاريف للإرهاب، وحدد العناصر المشتركة بين هذه التعريفات. وأحد أهم الفروق التي قدمها هي الهدف من العنف (أي الضحية البريئة أو غير المقاتلة)، وأهداف الاهتمام التي تحدد منها ثلاثة هي:

1. الهدف من الإرهاب، مشيرًا إلى أعضاء من الفئة نفسها كونهم هدف العنف.
2. هدف الإكراه، الهدف الذي يهدد الإرهابيون من خلاله؛ على سبيل المثال، (ما لم تستجب الحكومة لمطالبنا سنقتل هؤلاء الرهائن.
3. هدف التأثير، وعادة ما يكون الغرب أو المؤسسة.

كما دعت العديد من التعاريف التي استعرضها أيضًا إلى الانتباه إلى (الطبيعية الزائدة) للفعل، إنه انتهاك هادف لقواعد (الحرب العادلة) من خلال استهداف المدنيين، وذلك باستخدام وسائل مثل قطع الرؤوس الذي يهدف لبث الرعب في النفوس، وعشوائية الفعل على صعيد الزمان والمكان، وكلها مصممة بشكل مقصود لإثارة الرعب.

ثم إن الإرهاب يعترف به بشكل عام، وليس على نحو شامل بأنه العنف أو التهديد بالعنف ضد السكان غير المقاتلين من أجل الحصول على هدف سياسي أو ديني، أو أيديولوجي من خلال الخوف والترويع؛ إنه عمل إجرامي غالبًا ما يكون رمزيًّا في قصده؛ فالهدف من العنف يختلف عن أهداف إثارة الاهتمام.

إن مصطلح الانتحار نفسه موضع خلاف. في مقابلة مع الفلسطينيين المحتجزين، وجه سؤال كيف يفجر الانتحاري نفسه باسم الله، مع أن القرآن يحرم الانتحار؟ الأمر الذي أثار غضب من أجاب: (هذا ليس انتحارًا؛ الانتحار ضعف، الانتحار أنانية، واختلال عقلي؛ هذا استشهاد [الاستشهاد أو التضحية بالنفس في سبيل الله]). (بوست، سبرنزاك، ودني، 2003). وهكذا قام المتطرفون بإعادة تأطير هذه العمليات بصفتها (عمليات استشهادية). وخلافًا للرهبان البوذيين في فيتنام الذين أحرقوا أنفسهم احتجاجًا على حرب فيتنام، قاموا بهذه الأفعال ولم يقتل أو يصاب أي شخص، في حين أن (الانتحاريين) المعاصرين يقتلون أنفسهم من أجل قتل الآخرين، مما دفع بعض المعلقين في الولايات المتحدة وإسرائيل إلى استخدام مصطلحات تركز على الآثار الكبيرة للهجمات وما خلفته من قتل لأشخاص آخرين، واصفين إياهم بالانتحاريين القتلة. (homicide bombers)، وقد أطلق عليهم رافائيل إسرائيلي (الإسلاميكاز (Islamikaze): تجليات الاستشهاد الإسلامي (الإسرائيلي، 2003)، مشبهًا الانتحاريين بانتحاريي الكاميكاز اليابانيين في نهاية الحرب العالمية الثانية، وهذا يؤكد الهدف من الإصابات الجماعية العنيفة من قبل الانتحاريين. كما أدخل مايكل شيرمر مصطلح (جريمة القتل (murdercid)، مؤكدًا مرة أخرى أن العنصر الانتحاري له دور أساسي في فعل القتل (شرمر، 2006).

بالإضافة إلى الإرهابيين الانتحاريين المرتبطين بالإسلام المسلح، والذي سوف نناقشه بشيء من التفصيل، من المهم أن نلاحظ أن الإرهاب الانتحاري غير مستوحىً في مجمله من الدين التقليدي، ولا يمثل كل القتل باسم الله؛ فهناك على وجه الخصوص ثلاث مجموعات غير دينية مرتبطة بالإرهاب الانتحاري: نمور التاميل إيلام سريلانكا، وحزب العمال الكردستاني (PKK) في تركيا، والانفصاليون الشيشان؛ فحزب العمال الكردستاني، ونمور التايميل، والجماعات الانفصالية الشيشانية. باتت مسألة إنشاء دولتهم المنفصلة (كردستان لحزب

العمال الكردستاني، والتاميل لنمور التاميل، ودولة الشيشان المستقلة) مسألة إيمان، ولا بد (للمؤمنين الحقيقيين) أن يهبوا حياتهم من أجلها، وهذا يعكس بدوره التأثير القوي الذي يؤديه قادة هذه الأحزاب الذين يتمتعون بشعبية كبيرة بين أتباعهم، عبدالله أوجلان في حزب العمال الكردستاني وفيلوبيلاي برابهاكاران من نمور التاميل، فهم جميعًا يتمتعون بمكانة إلهية بين أتباعهم. (بوست، 2007، ص. 67).

الإرهاب الانتحاري المرتبط بالجماعات الإسلامية بات بارزًا في الخطاب الغربي والأوروبي، مما يدل أيضًا على أن تصرفات بعض الجماعات الإرهابية مثل تنظيم القاعدة وما تخلفه من أعمال، ينشر الخوف في أوساط الشعوب الغربية. علاوة على ذلك، ممارسة الإرهاب الانتحاري من قبل هذه الجماعات يشكل تهديدًا أمنيًّا كبيرًا يربك العمليات العسكرية الأمريكية وقوات التحالف في العراق وأفغانستان، ويستمر في زعزعة الاستقرار في قضية الصراع الإسرائيلي الفلسطيني.

الإرهاب الانتحاري في السياق الإسلامي*

لذلك من المهم في البداية أن نقدم ملخصًا عن الإرهاب الانتحاري في سياق إسلامي، كما يؤكد محمد حافظ في دراسته الممتازة عن الإرهاب الانتحاري الإسلامي. تصنيع القنابل البشرية، له ثلاثة محظورات في القرآن متعلقة بموضوع الإرهاب الانتحاري: الحظر الانتحاري المفروض، ضد قتل الأبرياء، وضد قتل المسلمين (حافظ، 2006). وسوف نناقش العديد من المفاهيم التي تصورها هذه المحظورات ضد الإرهاب الانتحاري: الجهاد، وعودة الخلافة والسلفية.

* هذا القسم من الورقة يشرح الصراع داخل الإسلام والطريقة التي استخدم فيها المتطرفون الجهاد لتبرير الإرهاب الانتحاري، وهو مستمد من مقال كبير عن الإسلام في العالم المعاصر كتبته فرحانة علي؛ أحد كبار المحللين في مؤسسة راند، التي تعمل مستشارة للفريق؛ من أجل النهوض بلجنة الطب النفسي.

الجهاد

غالبًا ما يدمج الإرهاب الانتحاري بمفهوم الجهاد، الذي يعد أيضًا مرادفًا لعبارة (الحرب المقدسة والتطرف)، ومع ذلك يساجل الإمام محمد ماجد من آدمز؛ الإمام في المسجد والمركز المجتمعي في سترليني فرجينيا، بأنه (لا يوجد في أي مكان في القرآن ذكر للحرب المقدسة المنسوبة إلى الجهاد. (ماجد، 2006).

فالجهاد هو عمل يتعلق بالعبادة الإسلامية، وهو مشتق من الفعل بالعربية جهد، ويعني الجهد والكفاح. (أبو الرب، 2002، ص. 78-79). في حين أن هناك العديد من أشكال الجهاد التي تم تعريفها عن طريق مجموعة من القواعد، وكثيرًا ما يفسر الجهاد بوصفه وسيلة للدفاع عن النفس: الدفاع ضد الإغراء، والدفاع ضد إغواء الشيطان، والدفاع ضد الظلم؛ فهناك أربعة أشكال من الجهاد تعد مهمة، وهي: جهاد النفس الذي يطلب من المسلمين أن تكون قلوبهم نقية طاهرة من الشر، وجهاد اللسان الذي يطلب من المسلمين الاستماع إلى الأحاديث النبوية، وجهاد العمل الذي يطلب من المسلمين عمل الصالحات من أجل الأمة، والمجتمع الإسلامي الملتزم، وأخيرًا جهاد السيف الذي يطلب من المسلمين رفع السيف ضد أولئك الذين يحملون السيف ضد المسلمين، ويعد جهاد السيف الجهاد الدفاعي، وهذا هو الجهاد الذي فسر غالبًا على أنه الحرب المقدسة.

برَّر بعض رجال الدين المسلمين استخدام العنف ضد أهداف مدنية وعسكرية عن طريق إصدار فتاوى (تصريحات) منح إذن للقتال خارج المعايير الأصلية للفقه الإسلامي، حيث يقول هؤلاء العلماء إن الحرب اليوم غير متكافئة، وهو ما يتطلب قواعد جديدة للحرب، مع إستراتيجيات وأساليب جديدة لإلحاق الهزيمة بأعداء، ومن ثم يسمح بعض العلماء باستخدام التفجيرات الانتحارية، لكل من الرجال والنساء المسلمين.

وكما هي الحال مع كلمة (إرهابي) و(انتحاري)، أضيفت كلمة (الجهاد) للاستخدام السياسي؛ يقول خالد أبو الفضل الفقيه والباحث الإسلامي البارز في الولايات المتحدة إن (الإحباطات الاجتماعية والسياسية لا تؤدي إلى استخدام العنف)، بل خطاب التحارب الذي نشأ في دول مثل مصر والمملكة العربية السعودية، وباكستان كان قادرًا على (استغلال خطاب

متطرف بالفعل، مع توقع حصول صدى له نتيجة الإحباطات الاجتماعية والسياسية للشعب). (أبو الفضل، 2005).

العودة إلى الخلافة*

في محاولتهم إعادة إحياء الإسلام بوصفه طريقة إجمالية للحياة، ظهرت العديد من الشخصيات الرئيسة لاستنبات إسلام سياسي جديد يستعيد عهد الخلافة، وهذا يشير إلى الحقبة التي أعقبت وفاة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، عندما أراد أتباعه من الخلفاء الاستمرار في حمل إرث النبي محمد وشرعه. الحكام المسلمون الأقوياء، بما في ذلك حقبة الإمبراطورية العثمانية، حكموا العالم الإسلامي إلى أن جاء مؤسس الدولة الحديثة في تركيا؛ الرئيس مصطفى كمال أتاتورك، وألغى دولة الخلافة في عام 1924؛ كان هذا هو الأساس الأيديولوجي للثورة الإسلامية في إيران عام 1979 بقيادة آية الله روح الله الخميني. أسامة بن لادن بدوره وجد أن استعادة الخلافة هي الحل للمسلمين الذين يعيشون في ظل الحكومات الغربية ورموزها القانونية؛ فقد استخدم هذا المصطلح لمخاطبة المسلمين المحرومين، والبحث ليعيد لهم هويتهم التاريخية ضمن السياق الاجتماعي السياسي الحديث في القرنين التاسع عشر والقرن العشرين. يستخدم بن لادن في خطاباته- في كثير من الأحيان- عبارة (قبل ثمانين عامًا)، في إشارة إلى حقبة الإمبراطورية العثمانية الماضية التي كانت تحكم قبل الانقلاب السياسي الذي قام به أتاتورك؛ فقد ذكر بن لادن على سبيل المثال، في خطاب مسجل بعد 9/11 بأن:

> ما تذوقه أمريكا اليوم هو شيء ضئيل بالمقارنة مع ما كنا قد ذقناه لعشرات السنين؛ أمتنا [العالم الإسلامي] ذاقت هذا الذل والمهانة لأكثر من ثمانين عامًا، وقتل أبناؤها، وسفكت دماؤهم، وهوجمت مقدساتهم، ولا أحد يسمع ولا أحد يهتم. (AlJazeeraTV, 2001)

* العصر الذهبي للخلافة يشير إلى حكم خليفة منتخب ديموقراطيًّا حتى سقوط الدولة العثمانية في عام 1924.

السلفية

المتمردون والشبكات المتطرفة، وأنصارهم يعكسون على نحو متزايد تعاليم السلفية الجهادية، وهم يستمدون المعتقدات الأساسية الخاصة بهم من السلفية، وهو مذهب يدعو إلى العودة إلى الأيام المجيدة من الإسلام التي عاشها المسلمون وفقًا لمبادئ السلف الصالح. (علي، 2000، ص. 11). بالعودة إلى الإيمان خلال الأيام الأولى من الإسلام، يقدم السلفيون نظرة عالمية تعد بإقامة مجتمع إسلامي موحد، مع (الإسلام والمعرفة التي هي خاصية يتمتع بها جميع المسلمون). إدراك هذا أمر بالغ الأهمية لسببين:

1. يتحدى السلفيون البيئة الاجتماعية السياسية الحالية من خلال دعوة المسلمين لقبول التعاليم الصحيحة للسلف الصالح*.
2. الإيديولوجية السلفية الجهادية وهي فرع عنيف من العقيدة السلفية من المرجح أن تتغلب على حركة ما بعد القاعدة.

السلفيون - الجهاديون يشكلون مجموعة صغيرة من المتطرفين لكنها قوية؛ فهم يدعمون هدف القاعدة في إقامة خلافة إسلامية لتحل محل الحكم الديموقراطي المفروض من الغرب والأنظمة الإسلامية الاستبدادية أو المرتدة، وعلى الرغم من أن السلفية أقلية في العالم الإسلامي، إلا أن السلفيين الجهاديين يحتفظون بشبكة دعم واسعة عابرة للقوميات، تحدت الناشطين المسلمين السلميين في قبولهم الوضع الراهن، و/ أو اختيارهم الانضمام إلى العملية السياسية للتعبير عن مخاوفهم، بدلًا من المشاركة في الجهاد لاستبدال الجاهلية (الهمجية أو من صنع الإنسان) بحكومة الحاكمية** (أو الصالحين الواعيين لحكم الله)؛ فالسلفيون الجهاديون يؤكدون أن هذه القوانين الوضعية التي جاءت بها الحكومات العلمانية أو القومية تتعارض مع شرع

* جاء ذكر السلف في القرآن والسنة، وتسمى أيضًا الحديث، وهو كل ما قاله وفعله النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- الذي تم تدوينه من قبل علماء المسلمين. العلماء المعروفون أكثر في الحديث هما اثنان؛ البخاري ومسلم. وفقًا للبخاري، قال النبي لابنته فاطمة ((في الواقع، أنا بالنسبة إليك السلف المبارك)). (رقم 2652). في القرآن الكريم، وصف السلف كما في (الآية 2: 137) بالمهتدين.

** يتم وصف هذه الاصطلاحات بشكل واضح في عمل الثائر المصري سيد قطب؛ ففي كتابه **في ظلال القرآن الكريم**، كتب سيد قطب: فالإنسان على مفترق طرق، وعليه الخيار بين الإسلام أو الجاهلية... جاهلية الأسلوب -الحديث في المجتمعات الصناعية في أوروبا وأمريكا مشابهة بشكل أساسي للجاهلية القديمة لبعض الوقت في الوثنية والعربية البدوية؛ في كلا النظامين، الرجل تحت سيادة الإنسان بدلًا من الله.

الله. في كتابه **فرسان تحت راية النبي**، لأيمن الظواهري؛ الرجل الثاني في تنظيم القاعدة، يؤكد هذا الحق في إقامة دولة إسلامية في قلب العالم الإسلامي*، وهو هدف تتقاسمه المجموعات السلفية الأخرى الذين يتفقون على أن الجهاد هو الأداة التي تحمي مصالح المسلمين، وتحقق النتائج المرجوة لهم. في مقابلة أجريت في صحيفة الحياة الأردنية في تموز- يوليو 2005 (الحياة، 2005) المُنظِّر الأردني أبو محمد المقدسي يدعم الجهاد بوصفه أحد الواجبات التي يمليها إيماننا. . . ومن خلال تجربتنا السابقة في الجهاد في أفغانستان والشيشان والبوسنة، وجدنا أن بركات الجهاد تشمل إحياء شباب هذه البلدان وخلق الصحوة المباركة هناك.

من خلال التواصل مع الروايات التي تركز على النهضة الإسلامية، نجد أن السلفية الجهادية تقدم إجابات قوية عن الأسئلة والمخاوف الحديثة (هيكل، 2005)؛ فهي تقدم شكلًا بديلًا من أشكال المقاومة،** تعتمد في هذا على أعمال العنف لتحقيق أهدافها الإستراتيجية والتكتيكية. وبوصفها الطليعة الانتهازية في الإسلام، فإن رواياتها تتجذر في إنقاذ الأمة الإسلامية من الفساد الأخلاقي والتدخل الغربي؛ فهي على مسافة قصيرة من مطلب العنف، سعيًا لتحقيق العدالة للشعوب الإسلامية، وصولًا إلى رجال الدين الإسلامي متشددين؛ مثل آية الله فضل الله، المرشد الروحي لحزب الله، مستشهدًا بمعاناة المسلمين الكبيرة لتبرير الأفعال مثل الانتحار الذي يحرمه القرآن الكريم في الأوقات العادية، وكان فضل الله هو الذي أجاز تفجير الشاحنة المفخخة في السفارة الأمريكية وفي ثكنات المارينز في لبنان في عام 1983، ومنذ ذلك الحين تخلى حزب الله عن تكتيك الإرهاب الانتحاري لصالح حرب العصابات.

* الترجمة التي قدمها فينسكي، وإبراهيم (2003). بالنسبة إلى الظواهري، معنى الجهاد هو (إزالة الحكومة الحالية [السادات] من خلال مقاومته، وتغيير النظام الحالي لإقامة حكومة إسلامية بدلًا من ذلك. من كتابه **الطريق إلى القاعدة** (الزيات، 2004، ص. 42-43).

** مهندسو الفكر الإسلامي الذين يمتلكون حجة قوية قدموا لغة تناسب المقاومة. وإدراكا منها لمشاعر المسلمين خلال حقبة الاستعمار، وتأثير حركات الاستقلال التي يدعمها الغرب، وضعوا برنامج عمل، مستفيدين من الإحباط الذي يعانيه المجتمع الإسلامي في ذلك الوقت؛ النضال من أجل الاستقلال في عالم ما قبل الاستعمار وما بعده ولّد مجموعة متنوعة من القوميات ذات البعد المحلي والمناطقي التي من خلالها . . . نحافظ على استمرار الإسلام وديمومته في العالم الإسلامي.

سيكولوجية الإرهاب

فهم سيكولوجية الإرهاب الانتحاري يجب أن يكون متأصلًا في فهم سيكولوجية الإرهاب، في إطار التحضير للقمة الدولية حول الديموقراطية والإرهاب، والأمن، الذي عقد في مدريد، إسبانيا، في مارس 2005، وفي الذكرى السنوية الأولى لتفجير محطة القطارات في مدريد على يد متشددين إسلاميين، تم تشكيل عدد من اللجان لاستكشاف جذور الإرهاب*، وقد قدمت اللجنة المختصة في الجذور السيكولوجية للإرهاب وثيقة بالإجماع تؤكد بأن:

> التفسيرات على مستوى علم النفس الفردي غير كافية، وليس من المبالغة التأكيد أن الإرهابيين هم نفسيًّا (طبيعيون)؛ بمعنى أنهم غير مصابين بمرض ذهاني سريريًّا؛ فلا هم من المصابين بالاكتئاب، أو المضطربين عاطفيًّا، ولا هم متعصبين لدرجة الجنون. (بوست، 2005b، ص. 7-12).

ذهب تقرير اللجنة ليخص بالذكر الدور الحاسم لعلم النفس الجماعي والتنظيمي، مؤكدًا أهمية (الهوية الجماعية):

> يوجد إجماع واضح على أنه ليس علم النفس الفردي بل علم النفس الجماعي والتنظيمي والاجتماعي الذي يوفر أكبر قدر من القوة التحليلية في فهم هذه الظاهرة المعقدة؛ فقد أخضع الإرهابيون هويتهم الفردية إلى الهوية الجماعية، ذلك أن ما يخدم المجموعة أو التنظيم أو الشبكة يكون له أهمية رئيسة عندهم. بالنسبة إلى بعض الجماعات، وخاصة الجماعات الإرهابية الوطنية الانفصالية، فقد أنشئت هذه الهوية الجماعية في وقت مبكر جدًّا: الكراهية (تجري في دمائهم)، وهذا بدوره يؤكد السياق الاجتماعي والثقافي الذي يحدد التوازن بين الهوية الجماعية والهوية الفردية. (بوست، 2005c).

وبقبول أنه لا يوجد نموذج واحد يمكن أن يفسر الإرهاب الانتحاري، يكون هدفنا الآن هو استعراض المساهمات النفسية لفهم الإرهاب الانتحاري، الذي هو ظاهرة متعددة العوامل التي يجب النظر فيها من منظور متعدد التخصصات.

* ملاحظة: عمل ثلاثة أعضاء من لجنة GAP حول الإرهاب والعنف السياسي، جيرولد بوست، جيف فيكتوروف، وستيفان ويني في لجنة الجذور النفسية للإرهاب التي ترأسها جيرولد بوست.

مجموعة نماذج توضيحية للإرهاب الانتحاري

تتشكل الهويات الجماعية داخل الأوساط الاجتماعية والثقافية التي تتطور فيها؛ جيسيكا ستيرن، التي أغنت المعرفة المتعلقة بالإرهاب من خلال مقابلاتها المفتوحة تقول إن (اليأس والحرمان، والحسد، والإذلال يولِّد الموت، وتصبح الجنة أكثر جاذبية)، ونقلت عن مقيم عجوز في جنين قوله لمراسل كان قد زارهم: (انظر كيف نعيش هنا، وبعد ذلك عليك أن تفهم لماذا هناك دائمًا متطوعون للاستشهاد؛ فكل مسلم جيد يفهم أنه من الأفضل أن يموت مقاتلًا من أن يعيش بلا أمل). (جاكوبسون، 2001، P. 38)، وهكذا من خلال العمل الاستشهادي، يتحوَّل اليأس إلى أمل- وهو اعتقاد واسع الانتشار في المجتمع الفلسطيني؛ فالهوية الجماعية والمجموعة والعمليات الاجتماعية التي تعزز هذه الهوية الجماعية تؤثر بصورة حاسمة في دفع الشباب المسلم نحو طريق الإرهاب، وفي إعادة صياغة الانتحار ليصبح استشهادًا.

مدخل على مسار الإرهاب

الجهاد والمقاومة تبدآن بالكلمة، ثم بالسيف، ثم بالحجر، ثم بالبندقية، ثم بزرع القنابل، ثم بتحويل الأجساد إلى قنابل بشرية. منير المقداح؛ مدرب الهجمات الانتحارية (بلوم، 2005، ص 27).

يلتحق الناس بالجماعات الإرهابية في مراحل مختلفة من الحياة، غير أن المدخل إلى طريق الإرهاب كثيرًا ما يسبق الانتساب إلى عضوية المجموعة بوقت طويل. بالنسبة إلى بعضهم، يبدأ في مرحلة مبكرة جدًّا، هذا ما توضحه البيانات التجريبية المتعلقة بالإرهابيين الانتحاريين الفلسطينيين ومُرسليهم. في الأراضي الفلسطينية القبول بالتفجير الانتحاري والاحتفال به واضح منذ سن الطفولة وما بعدها، كما يتضح من صور الرضع والأطفال الذين لديهم أحزمة تفجير انتحارية؛ فالأطفال يستمعون إلى قصص آبائهم عن الإذلال، والسخط، والخسارة. وفي مقابلات مع الفلسطينيين المحتجزين، أشار الجميع تقريبًا أنهم كانوا في المسجد عندما سمعوا لأول مرة عن الطريقة التي نزعت بها ملكية ذويهم، عندئذ وضعوا خطواتهم الأولى على طريق

الإرهاب والاستشهاد. (بوسط وآخرون، 2003). (يتم التركيز هنا على المجموعات الفلسطينية بسبب توافر البيانات؛ ولا تنطبق هذه الملاحظات بالضرورة على مجموعات أخرى).

حياة الطفل تمتد إلى أبعد من العائلة، وبخاصة إلى المدارس؛ فهناك كتابات على جدران روضة أطفال تديرها حماس تقول: ((إن أطفال الروضة هم شهداء الغد)). (كيلي، 2001). في مدرسة إسلامية في مدينة غزة تديرها حركة حماس، يقول طالب يبلغ من العمر 11 عامًا:

> سأجعل جسدي قنبلة تنفجر بلحم الصهاينة، أبناء الخنازير والقرود. . . وسوف أمزق أجسادهم إلى قطع صغيرة، وأسبب لهم ألمًا لم يعرفوه من قبل.

وبحسب هذه المقالة التي ذكرت في الحلقة، رد زملاؤه (الله أكبر). المعلم صاح قائلًا وهذا يدل على أن النظام بأكمله يشارك في هذه الثقافة، (فلتهنأ مع الحواري)، مشيرًا إلى إحدى المكافآت التي تنتظر الشهداء في الجنة، في حين ابتسم مدير المدرسة، وعبَّر عن موافقته. قيمة الشهادة يستمر التأكيد عليها في مراحل التعليم كلها وصولًا إلى المرحلة الجامعية. وعبارات كتبت في الفصول الدراسية في جامعة النجاح في الضفة الغربية، وفي الجامعة الإسلامية في غزة، تقول: ((إسرائيل لديها القنابل النووية، ونحن لدينا القنابل البشرية)). (كيلي، 2001).

وبالمثل، الممارسة النهائية للمخيمات الصيفية التي ترعاها السلطة الفلسطينية، يلبس فيها الشباب أقنعة أو كوفيات لفَّت حول وجوههم، اقتحام موقع استيطاني وهمي، والمعسكر الذي يتمكن من (قتل) جندي إسرائيلي مفترض يفوز بجائزة؛ لا يجري تدريبهم ليكونوا إرهابيين، بل ليكونوا جنودًا يلتحقون بالثورة.

محمد رزاق، مثالًا على الانتقال عبر الأجيال

بالنسبة إلى محمد رزاق؛ أحد إرهابيي أبي نضال، ولدى محاكمته في المحكمة الفيدرالية في واشنطن، D. C، بتهمة الاختطاف في عام 1997، انتقلت إليه مرارة الأجيال وكراهيتها قبل أن يولد (بوسط 2000). كانت والدته عمرها ثماني سنوات في عام 1948 في حرب الاستقلال، التي يسميها الفلسطينيون (النكبة)، عندما اضطرت عائلتها إلى ترك يافا، وهي ضاحية تقطنها

أغلبية مسلمة من ضواحي تل أبيب، فذهبت إلى مزرعة جدها في الضفة الغربية. وفي حرب عام 1967، عندما كان محمد رزاق صغيرًا يبلغ من العمر ثماني سنوات، اضطرت عائلته إلى ترك الضفة الغربية وانتهى بها المطاف في مخيم للاجئين في الأردن، وقد عبرت والدته عن كراهيتها للإسرائيليين حين أشارت بمرارة: ((هذا هو النزوح الثاني الذي أتعرض له)).

في مدرسة في مخيم اللاجئين، وبدعم من اليونسكو، تعلم محمد رزاق على يد عضو في منظمة التحرير الفلسطينية الذي قال له ولزملائه الطلاب: ((الطريقة الوحيدة لتصبح رجلًا هي الانضمام إلى الثورة، واسترداد الأرض المسروقة من والديك وأجدادهم)). وعندما نفذ العمل الإرهابي الذي أوكل إليه ويكون بذلك قد حقق هدفه. في النهاية كان يفعل شيئًا لنصرة قضية الشعب الفلسطيني في استعادة وطنه. محمد رزاق هو نموذج للطريقة التي تتفاعل بها القوى التاريخية، والتاريخ العائلي، والثقافة المجتمعية؛ لتجعل منه جنديًّا للثورة، حيث تدفع الشباب المحبطين الممتلئين بالنفور واليأس ليضعوا خطواتهم على طريق الإرهاب.

وأحد الجوانب المثيرة للاهتمام التي انبثقت عن التاريخ المفصل لـ محمد رزاق ودخوله ومشاركته جماعة أبي نضال الإرهابية، يتعلق بلقائه طبيبًا نفسيًّا فلسطينيًّا. بعد أن نجا محمد رزاق من الموت بأعجوبة في انفجار وقع في مقهى غادلره للتو في لبنان خلال (حرب القنابل)، شهد محمد رزاق بعض أعراض الاضطراب العابرة لمرحلة ما بعد الصدمة. عرض على لجنة الجذور النفسية للإرهاب اللجنة المكلفة من قبل الجماعات الإرهابية التي تقوم بغربلة الأفراد المضطربين عاطفيًّا؛ فقد أرسل محمد رزاق لإجراء هذا التقييم لدى طبيب نفسي فلسطيني؛ حيث أقر بأن وضعه مستقر على الصعيد العاطفي ولا مانع من عودته إلى الخدمة.

علم نفس المراهقين والإرهاب الانتحاري

كان الانتحاريون التفجيريون عادة من المراهقين المتأخرين أو من الشباب، وقد كشفت دراسة إسرائيلية أجريت بعد موت 93 من الانتحاريين (أجريت بعد الانتفاضة الأولى، 1993-1994) - إعادة تأهيل حياة الانتحاريين - أنهم مجموعة من الشباب غير المتعلمين الذين تتراوح أعمارهم بين 17-22 سنة، وغير المتزوجين ومن العاطلين عن العمل، وشباب لم ينضج

شبابهم بعد. وفي الآونة الأخيرة - حين اتسعت الفئة العمرية- انضمت بعض النساء إلى صفوف الانتحاريين، لكن لا تزال المجموعة الأساسية من الذكور في سن المراهقة المتأخرة. (مواري، 2005).

المراهقة والشباب هي وقت التجريب، وقت تشكيل الهوية والنضال من أجل الاستقلال الذاتي، ووقت التعامل مع قضايا الحميمة. (انظر كينيستون، 1972؛ سميتانا، كامبيون بار، وميتزجر، 2006؛ شتاينبرغ وشيفيلد موريس، 2001). كلما تفككت الروابط مع الآباء والأمهات، زاد تأثير ثقافة الأقران؛ كشفت دراسة أنات بيركو عن الفشل الانتحاري الفلسطيني عن أهمية ثقافة الأقران (بيركو، 2007)، وعلاوة على ذلك، في هذه الحقبة التنموية، يتم البحث عن مصادر بديلة للسلطة، غير أن المراهقين المسلمين الذين يسعون لترسيخ هويتهم يتلقفهم القادة المتاجرون بالكراهية، بما في ذلك الأئمة المتشددون، الذين يحددون الأسباب الخارجية لبؤس حياة الشباب. (ليس نحن، إنهم هم؛ هم المسؤولون عن مشكلاتنا). في هذا الإطار، عدم ضربهم لا يعد عملًا غير أخلاقي وحسب، وإنما يصبح واجبًا أخلاقيًّا، وخصوصًا عندما يلقى عليهم بوصفه واجبًا مُقدَّسًا، كما هي الحال بالنسبة إلى الأعضاء الشباب من حماس، وحزب الله والقاعدة، والجماعات التابعة لها والأفراد المماثلين لهم بالتفكير.

قبل دخولهم إلى المسار النهائي للإرهاب الانتحاري يدخل الشباب مسار التطرف (الردكلة - المترجم)، الذي وسمه آرييل مراري بـ (خط التجميع) الانتحاري؛ فقد أشارت تقارير مَنْ أُجريت معهم مقابلات كيف شعروا بالقوة بعد أن كانوا يعيشون حياة لا معنى لها؛ فقد أجاب أحد أعضاء حركة فتح في السجن عند سؤاله عن معنى التظاهر والإضراب ضد العدو:

> كنت أعدُّ الأعمال المسلحة أمرًا أساسيًّا؛ فهي المرتكز الأساسي لمنظمتي، وأنا واثق أن هذا ينطبق على غيرها من المنظمات الفلسطينية؛ كان الهدف أن نتسبب بوقوع مذبحة بأكبر قدر ممكن، والشيء الأهم هو كمية الدم؛ فالعمل المسلح يقول إنني هنا، أنا موجود، أنا قوي، أنا في السيطرة، وأنا في الميدان، أنا على الخريطة. العمل المسلح ضد الجنود هو العمل الأكثر إثارة...؛ فالأعمال المسلحة، ونتائجها هي الأداة الوحيدة التي يمكن من خلالها اختراق الوعي العام. (بوسط وآخرون، 2003، ص 18).

لذلك هو قوة لمن لا قوة لهم، أهمية لمن لا أهمية لهم، وقد تمثَّل ذلك في المقابلات التي أُجريت من قبل نيكول أرغو، والتي استشهد بها حافظ. (حافظ، 2006، ص. 50). وفقًا لأحد الأشخاص الذي أصبح انتحاريًّا، أكد أن الطبيعة الإيثارية هي من الدوافع المعلنة، ((أنا فعلت هذا بسبب معاناة الشعب الفلسطيني. سقوط الشهداء [الذين استشهدوا على يد القوات الإسرائيلية]. . وتدمير في كل مكان في فلسطين. . . أنا فعلت هذا من أجل الله والشعب الفلسطيني)). وقال آخر: ((أعتقد أن العملية تؤذي العدو. أيضًا [أ] مهمة ناجحة تؤثر إلى حد كبير في المجتمع؛ فهي ترفع من معنويات الشعب؛ إنهم سعداء؛ لأنهم يشعرون بالقوة)). وفي هذا السياق، فإن الرسائل التي يتلقاها المراهقون، بتمجيد الخلود الطوباوي والمتعال عند الانتحاري، قد تكون جاذبة لهم بشكل خاص. في سياق الضغط الاجتماعي والاقتصادي المتعدد، الوعود بأن يكتب الله له الشهادة، وأن يميته ميتة الأبطال، ويحرره من الصراع، وأن يدخله الجنة، هي الموضوعات الجاذبة للكثير من المراهقين الشباب.*

برنامج بحثي يستخدم مقابلات شبه منظمة مع 35 إرهابيًّا سجينًا من الشرق الأوسط، سواء من القوميين العلمانيين من حركة فتح والجبهة الفلسطينية لتحرير فلسطين، أو من المتطرفين الدينيين من حزب الله وحماس والجهاد الإسلامي في فلسطين، وجدت أن أهم معلومة مؤثرة في قرار الانضمام إلى منظمة هي البيئة الاجتماعية، كما أشار أحد الإرهابيين إلى أن ((الجميع كان مُنظَّمًا)). (بوسط وآخرون، 2003). وكانت مجموعة الأقران لها أكبر تأثير في ذلك، وفي كثير من الحالات كان الصديق أو أحد المعارف في المجموعة هو الذي يسعى

* ملاحظة: بين الفلسطينيين، هناك نسبة عالية من البطالة؛ الشباب الفلسطيني لم يكن قادرًا على استخدام تعليمه أو كسب لقمة العيش في عالم أوسع. المقابلات الأخيرة التي أجريت مع الشباب الفلسطيني في الضفة الغربية تكشف كثيرًا من اليأس. وبالمثل، في مصر والشرق الأوسط؛ فالزواج بوابة الاستقلال، يتم تأجيله بسبب البطالة، وعدم قدرة الحكومة على توفير التعليم الملائم، واقتصاد بلا عمل. في مصر، متوسط العمر الذي يتزوج به الرجال اليوم 31 عاماً، وتُشكل نسبة غير المتزوجات في إيران 38 في المئة للبالغات من العمر 25 –29. ارتبطت البطالة وعدم القدرة على الزواج باليأس الظرفي على نطاق واسع، والذي يرتبط بدوره بالتوجه نحو الدين. الشباب أحلامهم تخنق، فقد تحول الشباب المصري إلى الحماس الإسلامي. في عام 1986 كان هناك مسجد واحد لكل 6031 شخص، أما اليوم وقد تضاعف عدد سكان مصر إلى الضعف تقريبًا، فمسجد واحد لكل 745 نسمة. (م. سلاكمان). الأحلام تخنق، وشباب مصر تتجه نحو الحماس الإسلامي. (واشنطن بوست، 17 فبراير 2008، القاعدة، ص. 12، 13). لكن المصاعب الاقتصادية لا يبدو أنها تفرق بين الإرهابيين والانتحاريين في الجزء الأكبر من الشباب، وبالفعل وجد بيركو أن فشل الانتحاريين الذين تمت مقابلتهم جاء من الظروف الاقتصادية المريحة نوعًا ما، وكانت أعمالهم قد وصفت من حيث الإيثار، كما يجري للشعب الفلسطيني.

لتجنيده، وغالبًا ما تتفاجأ الأسرة بقرار الدخول في طريق الإرهاب، وتعزيز ملاحظة بيركو بأن عائلة الإرهابي الانتحاري كانت في كثير من الأحيان آخر من يعلم أن ابنهم على طريق الانتحار.

ذكر أكثر من 80% من أعضاء الجماعة العلمانية ترعرعوا في مجتمعات ذات أصول راديكالية، أن معظمهم قالوا إنهم اكتسبوا وعيهم السياسي لأول مرة من خُطب المساجد التي كانوا يسمعونها وهم أطفال، وقد أفاد أحد العناصر المنتمين لفتح:

> إنني أنتمي إلى جيل من الاحتلال؛ عائلتي لاجئة من حرب عام 1967، فالحرب وحالة اللجوء كانا حدثين شكَّلا الوعي السياسي عندي، وأوجدا الحافز لدي لبذل كل ما بوسعي لاستعادة حقوقنا المشروعة في بلدنا المحتل.

تكشف استطلاعات الرأي التي أجريت على الشباب الفلسطيني عن جيل لديه دعم للنضال المسلح والإرهاب أكثر من آبائهم، على الرغم من أنه في مرحلة لاحقة من بلوغهم رفض بعضهم المعتقدات التي كانوا يحتفظون بها وهم في سن الشباب. (إرلانجر، 2007).

التناقض بين الانتحاريين الفلسطينيين والخاطفين الانتحاريين في 11/09

كانت المناقشة حول هذا الموضوع متعلقة بشكل خاص بالإرهاب الانتحاري الفلسطيني. كان الانتحاريون الفلسطينيون في سن الشباب غير المكتمل، وكانوا عازبين، غير متعلمين وعاطلين عن العمل، وما إن يدخلوا بيتًا آمنًا، حتى يرافقهم أحد خشية أن يتراجعوا، وتتم مرافقتهم إلى العملية.

في المقابل، كان الخاطفون الانتحاريون لتنظيم القاعدة في هجمات الحادي عشر من أيلول في سن 28-33؛ عطا -مثلًا- وهو زعيمهم كان في سن 33 عامًا، وينحدر من عائلة ميسورة من الطبقة الوسطى، وكثير منهم نال التعليم العالي، عطا واثنان من زملائه كانوا في برامج درجة الماجستير في الجامعة التكنولوجية في هامبورغ، وكانوا بمفردهم في الغرب، في بعض الحالات لمدد تصل إلى أكثر من سبع سنوات، مظهرهم لا يوحي، بما تحمله دواخلهم مثل شعاع الليزر؛ فقد كانت مهمتهم أن يضحوا بحياتهم من أجل قتل آلاف الضحايا. نراهم بالغين مكتملين،

سخَّروا فرديتهم لقضية مجموعة تتبنى الإسلام الراديكالي بالشكل الذي صاغه القائد الجذاب المدمر أسامة بن لادن.

مارك سيغمان، في دراسة أجريت على 400 شخص من تنظيم القاعدة، وجد أن ثلاثة أرباع الأعضاء تأتي من الطبقة الوسطى والطبقة العليا، مع 63% منهم حضر الكلية (سيغمان، 2004). كما لاحظ، وكانت هذه (الأفضل والأذكى)؛ أن ثلاثة أرباعهم من المهنيين أو شبه المهنيين، ومعظمهم من خريجي التخصصات العلمية.

إن مؤامرة (الأطباء) الأخيرة في بريطانيا العظمى تسلط مزيدًا من الضوء على هذا الوصف، ومن النتائج المثيرة للاهتمام التي تتناقض مع الافتراض العادي هو أن العدد القليل كانوا من ذوي الخلفيات الدينية. ويقف التحليل الديموغرافي في تناقض حاد مع الانتحاريين الفلسطينيين؛ حيث 73% منهم من المتزوجين، ومعظمهم من الذين لديهم أطفال.

القاعدة، نسخة ثانية

ثمة اتجاه جديد حدث في العقد الماضي، وتسارع بسبب الحرب في أفغانستان في أعقاب أحداث 9/11، والذي دمَّر أساسًا تنظيم القاعدة الإصدار 1. 0 بقيادتها وتحكمها المركزي، ومواردها المالية، وتدريبها، وتخطيطها العملاني؛ فقد تحوَّلت من تنظيم القاعدة الإصدار 1. 0 إلى تنظيم القاعدة الإصدار 2 .0 الذي يتميز باللامركزية، وبشبكة تتمتع باستقلال ذاتي تعمل من خلال المحاور والعقد، ذلك أن القاعدة توفر المظلة الفضفاضة، وتقدم الدعم والتماسك الأيديولوجي، ولكن ليس لديها سيطرة مباشر على العمليات.

مصدر القلق الكبير لقوات الأمن الغربية جاء من المجندين الجدد من السلفية الجهادية العالمية، القادمة من الجيل الثاني والثالث من السكان المهاجرين / الشتات الذين هاجروا إلى أوروبا أصلًا من جنوب آسيا وشمال أفريقيا، والذي فشلوا في الاندماج الثقافي، وقد تطرفوا داخل هذه الدول، من خلال المساجد الراديكالية. نفذت في مدريد تفجيرات محطة القطار في شهر مارس 2004 على أيدي أفراد من الشتات الجزائري، ونفذت تفجيرات لندن في 2005/7/7

من قبل مواطنين بريطانيين ينحدرون من جنوب شرق آسيا (باكستانيين)، كما أحبطت خطة منسقة لاختطاف طائرة في أغسطس 2006. في الحالة الأخيرة، لم يكن الإرهابيون (محليين)، وإنما كانوا على صلة وثيقة بجذورهم الباكستانية، وقادة الجماعات الذين تلقوا تدريباتهم على استخدام المتفجرات والعمليات من تنظيم القاعدة في باكستان.

كما لوحظ في البيان الذي صدر بالإجماع في قمة الإرهاب، على الرغم من أن معظم المهاجرين المسلمين واللاجئين ليسوا (عديمي الجنسية)، إلا أن الكثير منهم يعانون الشعور بالفقدان الوجودي والحرمان والاغتراب في البلدان التي يعيشون فيها، وغالبًا ما يتعرضون للأيديولوجيات المتطرفة التي تجعلهم متطرفين، وتُعبِّد لهم الطريق للدخول في مسار الإرهاب (بوست، 2005b، ص 9)؛ فاستطلاع الرأي الذي قام به معهد بيو قد عزز حالة الضيق التي يشعر بها مجتمع الشتات (22 يونيو 2006)، وقد أظهر علم النفس أن قضية المهاجرين / الشتات كانت مصدرًا رئيسًا للتطرف الإرهابي.

في حين أن الغرض من هذه الورقة ليس تقديم مراجعة شاملة لأدبيات علم النفس الإرهابي وسيكولوجية الإرهاب الانتحاري، وإنما التوسع في وجهة نظر الخبراء في سيكولوجيا الإرهاب الذي أوجزناه سابقًا، مع الإشارة بوجه خاص إلى الإرهاب الانتحاري، وسوف نعلق على العديد من النظريات الاجتماعية النفسية والاجتماعية العملية التي تسهم في رأينا إسهامًا مفيدًا في فهم الظاهرة.*

نظريات النفسية الاجتماعية والعملية الاجتماعية

نماذج العملية الاجتماعية

الطاقة النشطة توصل الناس إلى سلسلة من الخيارات الأخلاقية الصعبة. ما إن يتخذ الخيار، حتى يصبح من الصعب الرجوع عنه. آرييل ميراري؛ وهو باحث إسرائيلي بارز في

* ملاحظة: للاطلاع على استعراض شامل للبحث النفسي في الإرهاب، انظر جيف فيكتوروف (العقل الإرهابي: مراجعة ونقد المناهج النفسية)، مجلة حل النزاعات، 49، 3–42، 2005.

مجال الإرهاب، وقد تناول (خط التجميع للتفجير الانتحاري)؛ حيث يصف الطريقة التي يتقدم بها الفرد بدءًا من تجنيده وصولًا إلى تعريفه علنًا بأنه الشهيد الذي يمشي على قدميه، ثم (الميت الحيّ)، وصولًا إلى الشهادة النهائية، حيث يصور بالفيديو وهو يمسك البندقية الآلية (كلاشينكوف) في يد والقرآن في يد أخرى قبل تنفيذ العملية الاستشهادية، فمن الصعب للغاية أن يتراجع في اللحظة الأخيرة بعد أن يكون قد وصل إلى نقطة لا رجعة عنها؛ وإلا فالذل والعار سيكونان ثقيلين عليه جدًا، في الطريق الذي يؤدي إلى الإرهاب، يتناول الباحث فتحالي مقدم كيف يتم التقدم نحو الإرهاب بصفته سلسلة من الخطوات على الدرج يضيق، مع كل خطوة تخطوها إلى الأمام يصعب عليك الالتفات إلى الخلف، وكلما تقدم تضيق عليه الخيارات المتاحة أمامه حتى يشعر بانعدام الخيارات، وينضم إلى المجموعة. (مقدم، 2005). ومن ضمن ذلك، وفي درج لا يزال يضيق، هناك سلسلة من الخطوات من إرهابي إلى إرهابي انتحاري، وطرق أخرى يتصورها ميراري في (خط التجميع التفجير الانتحاري).

وقد أكد حافظ ثلاثة شروط للقيام بحملة تفجيرات انتحارية إرهابية، هي: ثقافة الاستشهاد، (قرار إستراتيجي من قبل المجموعة لاستخدام هذا التكتيك، واستعداد للمتطوعين). (حافظ، 2006). وأكد عدد من العلماء أهمية التنشئة الاجتماعية والبيئة الاجتماعية التي تحدث فيها التنشئة الاجتماعية؛ ميراري يؤكد أن تصبح إرهابيًّا شيء (طبيعي) في البيئة الثقافية الفلسطينية.

آلية فك الارتباط الأخلاقي

ألبرت باندورا طبق نظريات فك الارتباط الأخلاقي الذي كان رائدًا في استخدامها على شريحة خاصة من الإرهابيين (باندورا، 1990). لا يختلف عن التنشئة الاجتماعية للجنود، فإن شيطنة العدو وتجريده من إنسانيته يسهل تحويل الفعل الذي ينتهك مبادئهم الأخلاقية إلى عمل له قيمة مجتمعية؛ لننظر -على سبيل المثال- إلى التوصيف التالي للإسرائيليين من قبل إرهابي فلسطيني مسجون الذي على الرغم من أنه لم يلتقِ اسرائيليًّا قط سوى على حواجز التفتيش، إلا أنه متأكد تمامًا من طبيعتهم الشريرة:

أنتم الإسرائيليون نازيون في نفوسكم وفي سلوككم، في احتلالكم لا تميزون أبدًا بين رجل وامرأة، أو بين كبار السن والأطفال؛ أنتم الذين اعتمدتم أساليب العقاب الجماعي، وكنتم من اقتلع النازحين من وطنهم ومن ديارهم وطاردهم إلى المنفى؛ أطلقتم الذخيرة الحية على النساء والأطفال، أنتم حطمتم جماجم المدنيين العزل، قمتم بإعداد معسكرات الاعتقال لآلاف الأشخاص في ظروف لا تليق بالبشر؛ أنتم دمرتم المنازل، وحولتم الأطفال إلى يتامى؛ أنتم منعتم الناس من كسب العيش؛ أنتم سرقتم ممتلكاتهم، ودستم على شرفهم. ونظرًا لهذا النوع من السلوك، فليس هناك من خيار سوى ضربكم من دون رحمة بكل وسيلة ممكنة. (بوسط وآخرون، 2003، ص 12).

ينبغي التأكيد أن الإسرائيليين أيضًا لديهم مشاعر مماثلة تجاه الفلسطينيين على أنهم شريرون؛ فالاعتقاد لدى كل طرف بأن أعضاء الطرف (الآخر) في الصراع هم شريرون هو مثال على خطأ الإسناد الأساسي؛ المصطلح يشير إلى الميل إلى المبالغة في تقدير أهمية العوامل المزاجية أو الشخصية كأسباب للسلوك الملاحظ من قبل أشخاص آخرين. في المقابل، يشير التباين بين الفاعل والمراقب إلى ميل الضحية لتبرير أفعاله على النحو الذي يقتضيه الطرف (الآخر).* وهكذا الفلسطيني المذكور أعلاه يشعر أن فعله مبرر تمامًا، كما يشعر بعض مسؤولي مكافحة الإرهاب الإسرائيليين أن لهم ما يبرر أفعالهم؛ فكل طرف كأنه الضحية، وهو مجبر على أفعاله بوصفها ردًّا على سلوك الآخر.

نظرية العلاقات بين المجموعات، العداوة داخل المجموعة مقابل العداوة خارج المجموعة

يؤكد الباحث فاميك فولكان في كتابه الحاجة إلى الأعداء والحلفاء على (القيمة) النفسية للأعداء في بناء الهوية الاجتماعية؛ فمن خلال الأسرة والشخصيات الاعتبارية التي حولنا، مثل المعلمين، نقوم بالتواصل معهم اجتماعيًّا فنشعر بالراحة معهم، أما غيرهم نتعامل معهم بريبة ونشعر كما لو أنهم غرباء. (فولكان، 1988). فتبلور تقاسم الارتياح بين ما هو مألوف يعد الأساس النفسي لتشكل القومية، والخوف من الغريب هو الأساس النفسي لمفهوم العدو.

* انظر إلى روس ونيسبت (1991). إيرفينغ جانيس تضمن هذا التمييز في مفهومه (جماعة التفكير) التي قدمت في جانيس (1972).

سيكولوجيا العلاقات بين الزعيم الكاريزمي وأتباعه

قام الباحث بوست بتشخيص العلاقة القوية بين القادة الذين بجاذبية قوية وبين أتباعهم (بوست، 1986؛ آخر، 2004). وكما وصلنا إلى فهم رغبة الانتحاريين التضحية بحياتهم من أجل قضية بعينها، فإن إخضاع الهوية الفردية إلى الهوية الجماعية، على النحو الذي يحدده القائد الكاريزمي المدمر، هو أمر بالغ الأهمية بالنسبة إلى العديد من الإرهابيين المتدينين، ولا ينطبق هذا فقط على أتباع الزعماء الكاريزميين المتدينين مثل أسامة بن لادن، وزعيم حركة حماس السابق الشيخ أحمد ياسين، بل ينطبق أيضًا على (المؤمنين الحقيقيين) في القضية العلمانية القومية الكردية، الذين يوالون عبدالله أوجلان بشكل مطلق، وكذلك نمور التاميل الذين يسعون لاستقلال التاميل بقيادة فيلوبيلاي برابهاكاران.

تقويض الفردية

يرتبط هذا المفهوم ارتباطًا وثيقًا بسلطة الحركات الكاريزمية المدمرة، وقد تناول الكثير من العلماء السيكولوجيا الاجتماعية للأفراد في الحياة الجماعية، والطريقة تعمل بها المعايير الجماعية لتسيطر على الأخلاق الفردية. تقترح نظريات تقويض الفردية حالة ذاتية من تقويض الفردية تسبب في تجاوز المعايير الاجتماعية العامة. زيمباردو الذي كان رائدًا في استخدام مصطلح (تقويض الفردية) deindividuation، فقد تباينت عنده الفردية والعقل، والنظام عن نقيضها تقويض الفردية والاندفاع والفوضى (زيمباردو، 1969). وشدد دينر على عدم وجود الذات حينما يكون الفرد جزءًا لا يتجزأ من المجموعة (دينر، 1980). أما كيف يسهم تأثير علم النفس الجماعي في السلوك المعادي للمجتمع، فقد قدم الباحثان بوستنز وسبيرز مساهمة قيمة في هذا المجال (بوستنز وسبيرز، 1998). وقد وجد تحليلهما لنظرية تقويض الفردية كشرح للسلوك الجماعي والمناقض للمعايير بأن الجماعات والأفراد يتطابقون أكثر مع المعايير الخاصة بحالات معينة حينما يتم (تقوض فرديتهم) لدعم نموذج الهوية الاجتماعية من تأثيرات تقويض الفردية. هذا التأكيد لأهمية الهوية الاجتماعية يتفق مع النتيجة التي تم التوصل إليها بتوافق

الآراء في بيان اللجنة المختصة بالجذور النفسية للإرهاب الذي ذكرناه سابقًا. (بوست، 2005b، ص. 7–12).

نماذج فردية تفسيرية للإرهاب الانتحاري

كان هناك إجماع واضح بين خبراء في علم النفس الإرهابي في القمة الدولية حول الديموقراطية والإرهاب، والأمن؛ ذلك أن العوامل التفسيرية الأهم للإرهاب كانت تلك التي يمكن العثور عليها على المستوى الجماعي، لعدم وجود عوامل فردية تعريفية توضح كيف للمرء أن يصبح إرهابيًّا، ولعدم وجود عقلية إرهابية فريدة من نوعها. ومع ذلك، فقد تركنا السؤال المثير للقلق حول السبب في أن أعدادًا كبيرة من الناس يعيشون في بيئة مشتركة، ولا يصبح إرهابيين انتحاريين إلا العدد القليل منهم. من المهم التأكيد أن غالبية أعضاء اللجنة كانوا من الأطباء، وهم مستعدون لتقديم تفسيرات سيكولوجية فردية للعثور على التفسيرات النفسية الفردية، ولكن في هذا الاستعراض الرئيس لم نحدد ببساطة العوامل السيكوباثيولوجية الفردية التي تميّز كل واحد منهم؛ فهناك الاكتئاب الظرفي المهم، والخلفية المرتبطة بالصدمة لدى السكان الذي ظهر منه الانتحاريون كانت واضحة، لكننا لم نتمكن من تحديد العوامل التي تميز القطاع الواسع من السكان عن العدد الصغير من التفجيريين الانتحاريين.

مهاجم انتحاري قابله بيركو طالب بتجنيد (الشباب الحزانى). (بيركو، 2007، ص 7). وهذا يشير من الوهلة الأولى إلى أن الأفراد المكتئبين يجري البحث عنهم، ولكن طالما تتبع بيركو هذا الأمر؛ فقد كشفت المقابلة أن المقصود بـ (الشباب الحزانى) ليس الأفراد المكتئبين، ولكنهم كانوا من أولئك المهمشين اجتماعيًّا وليس لديهم أي وضع، لكنهم قد يحصلون على اعتراف بهم من خلال الموت، أولئك الذين تدنَّى احترامهم لذواتهم. . . الرجال والنساء الذين لديهم صعوبة في العثور على أنفسهم. . . المرارة. . . من تهميشهم. . . الذين هم على استعداد لمحاولة بذل أي شيء يشعرهم أن لهم قيمة للفوز برضى المجتمع وأسرهم (هم في واقع الأمر، الخاسرون).

رافائيل إسرائيلي أكّد قضية تدني احترام الذات والعواقب الوخيمة التي تحول دون أن يصبح إرهابيًّا انتحاريًّا، حيث خلص الباحث رافائيل إلى أن هذا الفعل أعطاهم (الفرصة لتوسيع الأنا الخاصة بهم، والرفاقية المكتسبة حديثًا تحافظ على احترام الذات). (إسرائيلي، 2003). هذا المفهوم من (الأنا الموسعة) يتعلق -بطبيعة الحال- بعلم النفس الجماعي المرتبط بالعلاقة بين الزعيم الكارزمي وأتباعه الذي سبق أن تحدثنا عنه؛ لم يعد فشل الفرد معزولًا، اليوم يتم تحديده بما يتمتع به الشهيد من تقدير جماعي، وقد أفاد ميراري أن قرابة ثلث الشهداء الذين تم اعتراضهم، فُحصوا في إسرائيل، وأظهروا اكتئابًا في أثناء الحبس، لكنهم ربما أظهروا هذا الاكتئاب بسبب السجن أو فشلهم في تنفيذ العملية الاستشهادية.

أفادت سبيكهارد وزملاؤها أن جميع الانتحاريين الشيشان عانوا تجارب مؤلمة شديدة، حولت -بالطبع- حياتهم نحو التفجير الانتحاري، ولكن المعدل الأساسي من الصدمة مرتفع جدًّا بين الشيشان، بنسبة تضاهي ما هي عليه لدى من هم ليسوا مفجرين انتحاريين. فيكتوروف وزملاؤه وجدوا أن الاكتئاب كان مرتبطًا بشكل كبير بالدعم الذي قدَّمه الصبية من اللاجئين في غزة للإرهاب وهم في سن المراهقة، ولكن كما يعترف فيكتوروف، هناك فجوة كبيرة بين أن تدعم الإرهاب وأن تصبح انتحاريًّا إرهابيًّا، والأكثر من هذا أنه يبدو من المستحيل إجراء دراسات بحثية ذات شواهد صارخة، تقارن أولئك الذين لا ينفذون العمليات الإرهابية الانتحارية مع الذين يدعمون القضية ولكنهم لا ينفذون العمليات الاستشهادية. (فيكتوروف، 2005).

هناك تقارير غير مؤكدة أن السبب لكثير من الإرهابيين الانتحاريين، في انتقالهم من كونهم مؤيدين للقضية إلى المشاركة في القضية، كان وفاة صديق أو أخ في تنفيذ عمل إرهابي؛ فقد وجد سيغمان أن جميع الإرهابيين الانتحاريين تقريبًا كان لهم قريب أو صديق واحد على الأقل قتل أو أصيب، أو أساء الأعداء معاملته. (سيغمان، 2004). ويذكر بيركو أن الإرهابيين الانتحاريين في معظمهم ليست لديهم مشكلات اقتصادية، وأنهم لا يعانون اضطرابات عاطفية شديدة، على الرغم من أن العديد منهم كانت لديهم الأوهام من أسرهم ومجتمعهم فيما يتعلق بـ (الأبطال الشهداء). (سيغمان، 2004، ص 9).

إحدى الحكايات المثيرة للاهتمام التي كتبتها بيركو أن (الانتحاريين المحتملين يصفون الإحساس بأنهم صاعدون، وهو نوع من الإغواء عندما يصلون إلى قرار الاستشهاد، وهذا يعني أنك ستصبح من الشهداء). (سيغمان، 2004، ص. 10). سوف يعترف الأطباء ذوو الخبرة بهذا البيان أن ثمة شيئًا يشبه السلام والفرح الذي يتجلى عند الأفراد المكتئبين فعلًا، عندما يلزمون أنفسهم بقرار الانتحار، لكن يخطئون إذا ظنوا أن هذا سيعكس تحسُّنًا سريريًّا لهم، ومع ذلك كانت بيركو تصرُّ في مناقشاتها مع المؤلف الرئيس على أن استكشافاتها لأسر الانتحاريين وأصدقائهم أشارت إلى أنه لا توجد تغيرات في المزاج؛ فالاكتئاب ليس واضحًا، وأن أطفالهم / إخوتهم/ أصدقاءهم بدوا عاديين قبل تنفيذ العملية التي صدموا وفوجئوا فيها.

الأسئلة الرئيسة وملاحظات ختامية

هذا الاستعراض للعوامل الاجتماعية والنفسية ذات الصلة بالإرهاب الانتحاري يتركنا نتصارع مع الأسئلة الصعبة؛ على سبيل المثال، واحدة من المعضلات الحالية أنه مع كل إرهابي يقتل أو يعتقل، هنالك عشرة على قائمة الانتظار في الطابور للتطوع.

نصرة حسن، وهي صحفية مسلمة باكستانية من الأمم المتحدة، أجرت مقابلات مكثفة مع مسؤولي الإرهاب ومع (القنابل البشرية) وعائلاتهم، وأفادت أن أحد قادة حماس قال لها: ((المشكلة الكبرى لدينا هي في جحافل الشباب الذين يطرقون أبوابنا، يطالبون بإرسالهم، فمن الصعب اختيار سوى عدد قليل؛ أولئك الذين نستبعدهم يكررون العودة مرارًا وتكرارًا، يشكلون مضايقه لنا، ويتوسلون أن نقبلهم)). (حسن، 2001). ما الذي يمكن عمله لتقليل التجنيد؟ كيف يمكننا مواجهة التعبئة والتطرف من الأعضاء المحتملين؟

إذا كان صحيحًا أن الأطفال يدخلون طريق الإرهاب والاستشهاد في وقت مبكر، فمع نهاية سن المراهقة يتعرضون لتأجيج روح الكراهية المريرة ومتطلبات الانتقام، وتمجيد قيمة الشهادة، ويستمر هذا في بعض الحالات، حتى يصبحوا في الخامسة عشرة من عمرهم؛ فالمواقف تتغير ببطء شديد، أما المواقف المطلقة فتبقى منيعة ويصعب تغييرها، والتدخلات يجب أن تحدث

قبل أن تتصلب تلك المواقف المطلقة؛ فكيف يمكن تعبئة الآباء والأمهات لمنع دخول أطفالهم في هذا الممر القاتل؟

الحزن واليأس ليسا دائمًا مسالك نفسية مرضية، لكن الأطباء النفسيين لديهم تاريخ طويل من العمل مع الناس الذين يعانون هذه المشاعر، فما الآثار المترتبة على انتشار التفجيرات الانتحارية لمنع أشكال التعبير العام عن الحزن بعد هذه التفجيرات؟ ما الآثار المترتبة على الاحتفال بهذه الوفيات؟ ماذا يحدث عندما يكون هناك قمع للتعبير العلني عن الشعور بالخسارة المؤلمة؟ ذكرت مقابلة نصرة حسن مع أم تحزن لفقد ابنها في عملية استشهادية، أنها لو كانت تعرف، لقطعت قلبها بالساطور وفتحته، لتحشو ابنها في الداخل، ثم تخيطه عليه لتحميه حسب قولها، ما يشير إلى الفجوة الكبرى بين متطلبات الجمهور للاحتفال بهذه العملية وبين الحزن الخاص الذي تعبر عنه الأم على سبيل المثال. (حسن، 2001، ص 41).

كما لاحظنا، هناك على الأقل ثلاثة محظورات ضد الانتحار في القرآن الكريم، وحتى الآن لم يتم التصدي لمنع المتطرفين الإرهابيين الانتحاريين من (العمليات الاستشهادية)؛ ما الذي يمكن عمله ليكون علماء الدين الإسلامي والمعلمون والقادة السياسيون معتدلين لمواجهة إعادة صياغة هذا التطرف؟ ما الخطوات التي يمكن اتخاذها لمساعدة بعض الدول ولا سيما المهددة بالتطرف على الاعتدال في أنظمتها التعليمية، وفتح مجتمعاتها؟

السؤال الأساسي هو: هل يمكن أن نمنع الإرهاب الانتحاري؟ ليس بالمعنى المطلق، ولكن بذل الجهود للحد من هذه الظاهرة هو بكل وضوح ذو أهمية قصوى، هذه الجهود يجب أن تستمد من فهم هذه الظاهرة؛ هناك تقارير مشجعة عن الآثار الإيجابية لاستخدام الإرهابيين السابقين للحد من تطرف المسلحين (كورلانتزيك، 2008)، وقد سجلت أندونيسيا -على وجه الخصوص- نجاحًا باهرًا في كسب قلوب المتشددين وعقولهم بإرسال أعضاء سابقين من الجماعة الإسلامية، (المنظمة الإرهابية الإسلامية الأندونيسية المسلحة الرئيسة)، إلى السجون الأندونيسية؛ لتبعد المتطرفين عن الإرهاب. في عام 2004، وضعت المملكة العربية السعودية برنامجًا مناهضًا للتطرف، وقدَّم أحكامًا مخفضة لمتشددين مسجونين خضعوا لجلسات الفصول الدراسية المكثفة، ووضعت مصر وسنغافورة وماليزيا والأردن برامج مماثلة أيضًا، ويعمل برنامج الاتصال

في بريطانيا العظمى مع الجماعات الإسلامية المحلية هناك؛ للمساعدة على الحد من تطرف المتشددين الإسلاميين المحتملين.

إذا افترضنا أن الإرهاب الانتحاري هو نتيجة تعقد المسار النفسي للشخص، فلا بد من وضع برامج لمنع الأفراد من دخول هذا الطريق في المقام الأول، وتسهيل الخروج منه، ويجب أن تتضمن عناصر هذا البرنامج التأكيدات التي أبلغت عنها المجموعة السيكولوجية/ الاجتماعية المذكورة أعلاه، لتشمل:

1. منع الإرهابيين المحتملين من الانضمام إلى المجموعة في المقام الأول.
2. إنتاج الشقاق في الجماعة.
3. تسهيل الخروج من الجماعة.
4. خفض الدعم للمجموعة ونزع الشرعية عن القيادات.*

هناك حاجة إلى مزيد من العمل، وجميع الأطراف سوف توافق على أن هذا العمل يجب أن يكون متعدد التخصصات؛ هناك قضايا مهمة تتعلق بالحقوق الاجتماعية والسياسية والبشرية التي يمكن للأطباء النفسيين أن يضيفوا إليها صوتهم، ومن الواضح أن هذه الدعوة إلى مبادرات سياسية كبرى تتجاوز حدود الطب النفسي التقليدي، لكن فهمنا للعمليات التي تقود الشباب إلى هذا المسار القاتل يمكن أن يسهم في تدخلات مركزة، ومن المساهمات التي يمكن أن يقدمها الأطباء النفسيون في المجتمعات التي تعاني ضغوطًا تتمثل في تحسين فرص الحصول على الخدمات النفسية، مثل الخدمات التي يقدمها برنامج الصحة المجتمعية في غزة، وهذا قد يقلل من معدلات الضوائق النفسية، ويزيد من انتشار الأمل، ويحد من جاذبية التدمير الذاتي باسم أيديولوجية متشددة.

إحدى الطرق لإعادة صياغة الإرهاب، استنادًا إلى هذه المنظورات المتنوعة، تتمثل في النظر إليه على أنه استجابة شاملة تنبثق من العديد من الصراعات والقرارات والخيارات؛ الإرهابيون قد يقولون في نهاية المطاف أنهم يواجهون حتمية بسيطة واحدة (على سبيل المثال،

* لتوسيع هذه العناصر في برنامج عمليات المعلومات راجع بوسط (2005A).

الرغبة في إلحاق الضرر والانتقام ضد ما يعدونه قوة محتلة)، ولكن للوصول إلى هذه النقطة يتطلب التفاوض على مختلف الأدوار والالتزامات الاجتماعية، فضلًا عن العديد من التفسيرات الممكنة لهذه الأدوار والالتزامات، وبعضها قد يكون صاخبًا (مثل ما إذا كان ابن صالح يريد أن يتخلى عن والديه بالموت، أو ما إذا كان ابن صالح ملزمًا بالانتقام من إهانة وجهت لوالديه،... إلخ).

وقبل أن ينخرط في الإرهاب، يجب على الإرهابي التنقل في التسلسل الهرمي لقيم التوتر، ويمكن أن يشمل هذا الانتقال الشعور بالفردية عكس الشعور بالانتماء لمجتمع؛ والسلطة المتصورة وصحة دينهم مقابل الإذلال المتصور لهذا الدين من قبل الآخرين، ومن أجل هذه المسألة، فالصراعات داخل هذا الدين؛ وطرق الحكم على الخطأ والصواب، وإثبات البراءة والشعور بالذنب، والمفاهيم الاجتماعية والسياسية المحددة لنا، مقابلها شعور شخصي بالفخر مقابل الإذلال، والرغبات الدنيوية مقابل السماوية، ويضع الفرد سلسلة من الخيارات استنادًا إلى هذه العوامل كلها، ومن ضمنها مسائل الهوية والانتماء، ما يؤدي في نهاية المطاف إلى ترك الخيار للفرد فيما إذا سيشارك في العمل الانتحاري أم لا، ثم يعاد رسم هذه الأعمال الإرهابية الانتحارية بوصفها حلًّا شاملًا (اعتداء على القيم الغربية، على الحرية والسياسات، وما إلى ذلك)، سواء من قبل الجناة ومن قبل أولئك الذين يستجيبون لمثل هذه الهجمات.

إن جزءًا لا يتجزأ من تطوير إرهابي انتحاري هو إجراء عملية توازن، وتفاوض، أو رفض هذه التوترات والقيم، والسبب في أهمية ذلك، هو الاعتراف بوجود أبعاد ثقافية واجتماعية وسياسية للاختيار في كل مرحلة من مراحل تطوير الانتحاري، فضلًا عن الخيارات النفسية الفردية؛ على سبيل المثال، يُحدَّد مدى التضحية بالنفس للمجتمع الواحد من خلال العلاقات الاجتماعية السياسية، والتاريخية، والفردية مع ذلك المجتمع، فضلًا عن البناء الاجتماعي والسياسي والتاريخي لذلك المجتمع.

ومن ثم، فإنه من التبسيط القول بأن إرهابيًّا يرفض -بسهولة- الهويةَ الفرديةَ من أجل المجتمع، أو مجرد قراءة كتاب الإسلام أو إساءة فهمه، وبدلًا من ذلك، إذا أراد المرء أن يفهم

كيف يصبح شخص إرهابيًّا انتحاريًّا، فإنه يضطر إلى دراسة هذه المسارات المختلفة، بدلًا من قبول العمل النهائي المدمر فقط.

النتيجة الفورية لهذا الإطار هي أن الجهود الرامية لمنع الإرهاب الانتحاري يجب أن توجه إلى جميع العوامل الضرورية ولكن غير الكافية التي تؤدي إلى الإرهاب الانتحاري، الإطار السياسي قد لا يفسر السبب الذي يدفع هذا الشخص للتضحية من أجل المجتمع، في حين شخص آخر ليس كذلك، والإطار الاجتماعي الثقافي قد لا يفسر السبب الذي يجعل أحدهم يقاوم، بينما لا يفكر الآخر القيام بذلك؛ فالإطار النفسي قد لا يكون قادرًا على تفسير المظالم الاقتصادية والتاريخية. إن فهم كيف تتم هذه الاختيارات (الطريقة التي تسرد بها وتفهم محليًّا) أمر ضروري كما هو فهم أسباب اختيار هذه الاختيارات (الولاءات المحلية، مفاهيم الاختيار، طريقة استخدام المنطق، دور المعلمين ورموز السلطة، وما إلى ذلك)، وهكذا، في حين أن النماذج الأنثروبولوجية والنفسية والسياسية والأخلاقية كلها قد يكون لديها ما تضيفه، لكن لا يمكن أن يعمل نموذجًا بمفرده، ويبدو أن التعاون بين التخصصات له ما يبرره، بل هو مطلوب.

وبالنظر إلى العدد المتزايد من الأفراد الضعفاء في المجتمعات المهاجرة والشتات، فإن التدخلات التي تحترم الاختلافات الثقافية في الوقت الذي تساعد فيه على دمج اللاجئين بالمجتمع المضيف سيكون أمرًا مهمًّا؛ فالتدخلات المجتمعية التي تهدف إلى تعزيز المستوى المجتمعي والفردي، والتغيرات التي من شأنها أن تدعم إدماج اللاجئين والشتات من الشباب في الثقافة السياسية للديموقراطيات الليبرالية الغربية يمكن أن تقلل بشكل كبير من تدفق المهاجرين المسلمين المغتربين إلى الجهاد السلفي عالميًّا.

المراجع

REFERENCES

Abdul–Khaliq, & Abdur–Rahman, S. (2004). The Scientific Basis of the Salafi Da'wah. New Delhi, India: Millat Book Center.

Abou El Fadl, K. (2005). Islam and the theology of power. Islam For Today. Retrieved on September 10, 2005, from Islam for Today Web site: www.islamfortoday.com/elfadl01.htm.

Abualrub, J. (2002). Holy wars, crusades, jihad. Columbia, MD: Madinah Publishers.

Al–Jazeera TV. (2001). In Osama bin Laden's own words: October 17, 2001. Retrieved December 2007 from September 11 News Web site: http://www.septemberllnews.com/OsamaSpeeches.htm

Ali, M. M. (translator) (2000). A statement and clarification of al–Salafiyyah: Concepts and principles, by Shaykh 'Abd al–'Aziz ibn 'Abd Allah ibn Baz. Suffolk: UK: Jam'iat Ihyaa' Minhaaj al–Sunnah.

Bandura, A. (1990). Mechanisms of Moral Disengagement. In W. Reich (Ed.), Origins of terrorism: Psychologies, ideologies, theologies, states of mind (pp. 161–191). New York: Cambridge University Press.

Berko, A. (2007). The path to paradise: The inner world of suicide bombers and their dispatchers. London: Praeger.

Bloom, M. (2005). Dying to kill: The allure of suicide terror. New York: Columbia University Press.

Crenshaw, M. (1981). The causes of terrorism. Comparative Politics, 13(4), 379–399.

Diener, E. (1980). Deindividuation: The absence of self–awareness and self–regulation in group members. In P. B. Paulus (Ed.), The psychology of group influence (pp. 209–242). Hillsdale, NJ: Lawrence Erlbaum.

Durkheim, E. (1951). Suicide: A study in sociology. Glencoe, 111: The Free Press. Translation by J. Spaulding & G. Simpson.

Erlanger, E. (2007, March 12). Years of strife and lost hope scar young Palestin–ians. New York Times, http://www.nytimes.com/2007/03/12/ world/middlee–ast/12intifada.html 144 JERROLD M. POST ET AL.

Hafez, M. (2006). Manufacturing human bombs: The making of Palestinian sui–cide bombers. Washington, DC: United States Institute of Peace.

Hassan, N. (2001). An arsenal of believers: Talking to the 'human bombs'.

The New Yorker, 77(36), 36–41.

Haykel, B. (2005). Salafi Thought and Contemporary Islamic Politics. A paper pre–sented to a United States Government conference.

Hoffman, B. (1998). Inside terrorism. New York: Columbia University Press.

Horgan, J. (2005). The psychology of terrorism. London: Cass Publications.

Israeli, R. (2003). Islamikaze: Manifestations of Islamic martryotogy.

Portland, OR: Frank Kass Publishers.

Jacobson, P. (2001, August 19). Home–Grown Martyrs of the West Bank Reap Deadly Harvest. Sunday Telegraph, 20, as cited in Stern, J. (2003). Terror in the name of God: Why religious militants kill. New York: HarperCollins.

Janis, I. (1972). Victims of group think: A psychological study of foreignpoli–cy decisions and fiascos. Boston: Houghton–Mifflin. "Jordan jihad theoretician Al–Maqdisi views disagreement with Al–Zarqawi," Al Hay at website, London, in Arabic, July 10, 2005.

Kelley, J. (2001). The secret world of suicide bombers. Devotion, desire drive youths to 'martyrdom' Palestinians in pursuit of paradise turn their own bodies into weapons. USA Today, June 26, 2001, A01.

Keniston, K. (1972). Youth and dissent: The rise of a new opposition (pp. 3–69). New York: Harcourt.

Kurlantzick, J. (2008, January 6). Fighting terrorism with terrorists. Los Angeles Times, http://articles.latimes.com/2008/jan/06/opinion/op–kurlantzick6 La–queur, W., & Alexander, Y. (1987). The terrorism reader: The essential source book on political violence both past and present. New York: Meridian.

Magid, I. M. (2006). Personal communication to Farhana Ali, Spring 2006.

McCauley, C., & Segal, M. (1987). Social Psychology of Terrorist Groups.

In C. Hendrick (Ed.), Group processes and intergroup relations, Vol. 9 of Annual review of social and personality psychology. Beverly Hills, CA: SAGE.

Merari, A. (2005). Social, organizational and psychological factors in suicide ter–rorism. In T. Bjorgo (Ed.), Root causes of terrorism: myths, reality and ways for–ward (pp. 70–86). New York: Routledge.

Moghaddam, F. (2005). Psychological processes and "the staircase to terrorism." American Psychologist, 60(9), 1039–1041.

Pedazhur, A. (2005). Root causes of suicide terrorism: The globalization of mar–tyrdom. New York: Routledge.

THE PSYCHOLOGY OF SUICIDE TERRORISM 145 Post, J. (1986). Narcissism and the charismatic leader–follower relationship.

Political Psychology, 7(4), 675– 688.

Post, J. (2000). Murder in a political context: Profile of an Abu Nidal Terrorist. Bul–letin of the Academy of Psychiatry and the Law (Spring, 2000).

Post, J. (2004). Leaders and their followers in a dangerous world: The psychology of political behavior. Ithaca, NY: Cornell University Press.

Post, J. (2005a). Psychological operations and counter–terrorism. Joint Force Quarterly, 37, 105–110.

Post, J. (2005b). Psychological roots of terrorism. Addressing the Causes of Terrorism, Vol. 1, The Club de Madrid Series on Democracy and Terrorism. Madrid, Spain: Club de Madrid.

Post, J. (2005c, August). When hatred is bred in the bone: The psychocultural foundations of contemporary terrorism. Political Psychology, 26(4), 615–636.

Poole, S. (2006). Unspeak: How words become weapons, how weapons become a message, and how that message becomes reality. London: Little Brown.

Post, J. (2007). The mind of the terrorist: The psychology of terrorism from the IRA to alQaeda. New York: Palgrave MacMillan.

Post, J., Sprinzak, E., & Denny, L. (2003). The terrorists in their own words: Interviews with 35 incarcerated Middle Eastern terrorists.

Terrorism and Political Violence, 15(1), 171–184.

Postmes, T., & Spears, R. (1998). Deindividuation and anti–normative behavior: A meta–analysis. Psychological Bulletin, 123(3), 238–259.

Ross, L., & Nisbett, R. (1991). The person and the situation: Factors of social psychology. New York: McGraw Hill.

Sageman, M. (2004). Understanding terror networks. Philadelphia, PA: University of Pennsylvanian Press.

Schmid, A. (1983). Political terrorism: A research guide to concepts, theories, data bases and literature. New Brunswick, NJ: Transaction Books.

Shermer, M. (2006, January). Murdercide: Science unravels the myth of suicide bombers. Scientific American, p. 33.

Silke, A. (2003). Terrorists, victims and society: Psychological perspectives on terrorism and its consequences. West Sussex, England: Wiley Blackwell.

Smetana, J., Campione–Barr, N., & Metzger, A. (2006). Adolescent development in interpersonal and societal contexts. Annual Review of Psychology, 57, 255–284.

Steinberg, L., & Sheffield Morris, A. (2001). Adolescent development.

Annual Review of Psychology, 52, 83–110.

United Nations. (2004). A more secure world: Our shared responsibility.

Report of the Highlevel Panel on Threats, Challenges and Change.

146 JERROLD M. POST ET AL.

Retrieved January 2008, from United Nations: Official Site Web site: http://www.un.org/secureworloVreport2.pdf

United States Department of Justice. (2001). Terrorism 2000/2001.

Retrieved January 2008, from Federal Bureau of Investigation: Official Site. http://www.fbi.gov/publications/terror/terror2000_2001.htm

Venzke, B., & Ibrahim, A. (2003). The al—Qaeda threat: An analytical guide to al—Qaeda's tactics and targets. Alexandria, VA: Tempest Publishers.

Victoroff, J. (2005). The "mind of the terrorist": a review and critique of psycho—logical approaches. Journal of Conflict Resolution, 49(1), 3–42.

Volkan, V. (1988). The need to have enemies and allies: From clinical practice to international relationships. London: Jason Aronson.

Zayat, M. (2004). The road to Al Qaeda: The story of bin Laden's righthand man. London: Pluto Press.

Zimbardo, P. (1969). The human choice: Individuation, reason, and order vs. deindividuation, impulse and chaos. In W. J. Arnold and D. Levine (Eds.), Nebra ka Symposium on Motivation (pp. 237–307). Lincoln, NE: University of Nebras—ka Press.